

رسول الله (ص) أعطى دروساً وعبراً من الجزيرة العربية إلى كل أمم العالم .. فمن الخطأ أن نختزل شخص رسول الله أو خطابه (ص) على المسلمين أو على مرحلة معينة

### كلمة السيد الدكتور إبراهيم الجعفري في مجلس النواب بمناسبة المولد النبوي الشريف 2012/2/4

جاءت الكلمة إثر تساؤل أحد السادة النواب حول إلقاء مثل هذه الكلمات الدينية وفي مثل هذه المناسبات في مجلس النواب، وأعتبر ذلك لا ينسجم مع طبيعة الدولة المدنية، مع أنه أكد من طرفه أنه صائم ومصلي، ذلك ما أثار ردود فعل عدد من الأعضاء داخل مجلس النواب، والذين أشاروا على الدكتور إبراهيم الجعفري بالحديث لغرض رد هذا التساؤل والحيلولة دون حدوث ملابسة ليس لها سابقة، فجاءت هذه الكلمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته..  
قال الله (تبارك وتعالى)، في محكم كتابه العزيز:  
(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)).

هذه الأيام نعيش، وإياكم إطلالة ذكرى ولادة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، التي وضعت حداً فاصلاً بين مرحلتين من حياة البشرية: مرحلة عصفت بها رياح الجاهلية، وأشاعت القتل والفسق والفجور والسرقة، ووآد البنات، وممارسة مختلف أنواع الجرائم، ومرحلة أخرى غمرت الأرض بالحب والحرية والسعادة.  
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أعطى دروساً وعبراً من الجزيرة العربية إلى كل أمم العالم، وعبر من مقطعه الزمني الذي انطلق منه ليغمر البشرية في كل مراحلها اللاحقة؛ فمن الخطأ أن نختزل شخص رسول الله أو خطابه (صلى الله عليه وآله وسلم)، على المسلمين أو على مرحلة معينة، ولشدهما يؤلمني أن يكتب الآخرون عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهم لا يلتقون معه بالشرعية لكن يلتقون معه بالقيم والفكر والأخلاق كما كتب عنه (ويل ديورانت) في مجموعة كاملة في (48) جزءاً بـ (24) مجلداً، وهو شخص أميركي لا يمت للعرب، ولا إلى الإسلام بصلة، ولشدهما يؤلمني أن يتحدث عنه الآخرون من موقع البعد، ويتغنون باسمه الشريف حتى قال عنه (جواهر لال نهرو) في مذكراته التي كتبتها (أنديرا غاندي)، وهو رجل لا يمت إلى الإسلام بصلة، يقول: إنه محمداً استطاع أن يحوّل العرب من أمة على هامش الحياة إلى أمة تقود الحياة بزمان قياسي.. يؤلمني ذلك في الوقت الذي نجد أن بعض المسلمين لا يدركون عظمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعظمة الإسلام أو أنهم يدركون ذلك ولا يجروون عن التحدث بهما.

لو استطردتُ مع الذاكرة بأن نتحدث عن قالوا عن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلا يقف الحديث عند حد، وإذا تناولنا الموضوع من زاوية مدنية فلا نجد شخصاً تتجسد فيه الحقوق المدنية كمراعاة الإنسان مثل محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله وسلم)، محمد الذي عبر إلى الآخر يوم قال للمسلمين عندما ضاقت بهم مكة بكل ما وسعت: (اذهبوا إلى الحبشة فإن فيها حاكماً لا يُظلم عنده أحد).

وأراد بذلك (النجاشي).. لقد عبر إلى الدين الآخر، ولا ينبغي أن نتردد أن نطرح بكل محافظنا رمز الحب والحرية في وقت تعصف العواصف، وتهدد كرامة الإنسان، وتهدد حريته، ويُقتل في كل مكان.. ينبغي أن نصدح بصوت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، في كل ميدان من الميادين بأنه عنوان المدنية.

من الذي أنقذ المرأة من ذلك الحضيض حضيض القتل (الوَأْد) لا لشيء إلا لأنها أنثى؟.. من الذي جعل الأسود الذي لا يُعترف بحياته، ويضعه وزيراً للإعلام (بلال الحبشي) في أول خطوة في طريق الإسلام يأتي ببلال، ويقول له: يا بلال أذن؟.. من الذي جعلنا نعبر إلى الآخر (صهيب الرومي، وسلمان الفارسي)؟.. إنه محمد، وشريعة محمد.

علينا أن نقف به، فلا قيمة للقوانين والحياة المدنية إن لم نجد لأنفسنا مصداقاً نرسم خطاه، ونقلده، ولا قيمة للمبادئ ما لم تتجسد، وأرى مصداقاً عملياً: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)).

هل تعرفون علام تدل (قد) في العربية إذا دخلت على الفعل الماضي؟.. إنها تفيد الماضي، وتواكب (الحاضر)، وتتأبّد (تستمر).. هل تعرفون ما الفرق بين الأسوة والقوة؟.

القوة أن تقتدي بأحد في زمن ما، أو من جانب معين، أما الأسوة فإنك تتسع بكل حياتك على كل حياته من دون استثناء.. فعِلْ رسول الله أسوة لنا في كل زمن، وفي كل مكان، ولو إن هؤلاء الناس الذين يعانون الآن من العذابات، وقد عضّتهم أنياب الظلم في كل نسيج من أنسجة الحياة يقتدون، ويتأسسون برسول الله لوضعنا حداً لهذه المآسي، ولجنبنا، ودرأنا عن أنفسنا غائلة الحروب.

فاتني يوم جاءت العراقية إلى القاعة، ولم أكن موجوداً هنا؛ لذا أوصل صوتي بالترحاب بهم في الوقت الذي أشعر فيه أن غياب العراقية كان خسارة برلمانية أدرك جيداً أن عودة العراقية إلى البرلمان هو مكسب وطني لكل العراقيين فالتشكيلة هذه، والتوليفة والباقة المتنوعة كالزهور في هذه القاعة تعكس تنوع المجتمع العراقي.

أنا أتأمل أن أسمع الرأي والرأي الآخر في داخل البرلمان، ولا أتأمل أن يغيب الرأي الآخر، فغياب الرأي الآخر يعني موت البرلمان.. قيمة البرلمان أي يشهد حراكاً وحركة مستمرة، وتجد فيه الرأي والرأي الآخر، لكن الذي لا أريد أن أراه، وأفجع به حين أفاجأ بتحول الرأي الآخر إلى قطيعة.. أتمنى أن تكون هذه التجربة قد أعطت درساً لجميع، وأخاطب كل القوائم من دون استثناء (التحالف، وكردستاني، والعراقية، وكذلك بقية الإخوة والأخوات أخاطبهم جميعاً: أرجو أن لا يضعوا الانتماء إلى كل قائمة وإلى كل حزب في داخل قوائمهم على حساب الوحدة الوطنية العراقية.. الانتماء الوطني يجب أن يتقدم على كل الانتماءات.. الانتساب إلى قومية شرف لك، وأن تنتسب إلى مذهب شرف لك، وأن تنتمي إلى قوة سياسية شرف لك، لكنك حين تكون هذه الانتماءات سيفاً يقطع عمق العملية الوطنية فهذا ليس شرفاً.. الشرف الحقيقي أننا عراقيون، وبعد ذلك يتفرع منه نحن الانتماء الجهوي والفئوي والديني.

أتمنى أن تكون عودة العراقية قوة إلى قوتكم، ونحن نعيش وإياكم فصلاً من الإنجازات الرائعة، وكان آخرها هو انسحاب القوات الأجنبية من العراق، والذي لم يحصل ذلك لولا تضافر جهودكم الخيرة لتحقيق هذا الإنجاز.

مرة أخرى أحیی من خلال هذا البرلمان ذكرى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأتمنى وإياكم أن نعيش حياته.. نعيش قلبه حين نعرض قلوبنا على قلب رسول الله.. هل لنا أن نحب، ونكره كما كان رسول الله يحب، ويكره.. نعرض عقولنا على عقل رسول الله.. هل إننا نفكر بالطريقة التي كان يفكر بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،.. نعرض تصرفاتنا وسلوكنا على شخص رسول الله (ص)؛ هذا العرض على رسول الله يجعلنا نعيش رسول الله الواقع، ورسول الله العقل الكبير، ورسول الله القلب الكبير، ورسول الموقف الكبير. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

**كلمة الدكتور إبراهيم الجعفري في الاحتفالية التي أقامتها رئاسة مجلس النواب  
بمناسبة المولد النبوي الشريف في مقر مجلس النواب الاثنين الموافق 2012/2/6**

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على أشرف الخلق أجمعين أبي  
القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، وجميع عباد الله  
الصالحين.  
السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته..

أيّ مرتقى صعب يسلكه الإنسان حين يتحدث عن عظمة كعظمة رسول الله (صلى  
الله عليه وآله وسلم)، وأي كلمة في مفردات القاموس تستطيع أن تعبّر عن الأوصاف  
التي يتحلى بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)!!

الحيرة ليس في أن نتحدث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إنما الحيرة في  
أنك ماذا تستثني من حياته الشريفة، وقد عمّر الحياة كلها بخُلُقهِ منذ وُلِدَ حتى رحل  
إلى ربه راضياً مَرَضِياً، قال الله (تبارك وتعالى)، في محكم كتابه العزيز:  
(وإنك لعلی خلق عظیم)..

الخلق (بضم الخاء)، يعني عالم الشخصية الداخل (القلب، والسريرة، والضمير،  
والوجدان)، ليس كالخلق (بفتح الخاء)؛ لذلك وددتُ أن أفتتح كلمتي بمخاطبة قلوبكم  
متأسياً برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).. كل شيء في رسول الله عظمة بدون  
استثناء.. منطق رسول الله عظمة، وسلوك رسول الله عظمة، كل شيء فيه عظمة لا  
تساويها عظمة أبداً غير أن الله (تبارك وتعالى)، اختصه بعظمة الخلق؛ لأنه يريد أن  
ينتقل من المخاطب الرسول الأسوة إلى المخاطب المتأسّي برسول الله.

علينا أن نتخلق بأخلاق رسول الله؛ فالعلاقة بين القلب وما يختزنه من الخلق وبين  
الوجود من خارجنا هذا التضاهي القلبي الكوني يجعل القلب المُفَعَم بالحب يتنوّر  
بالإيمان، ويجعل كل شيء من حوله ينشد إليه؛ لذا يبدأ الإنسان منطلقاً من داخله،  
ويجد كل شيء من حوله مستجيباً له.. من الفرد الذي يعيش معه في بيته إلى المجتمع  
الذي يتحرّك فيه إلى الوجود.. كل شيء فيه يستجيب:  
(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن  
كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكذبون)..

الوجود كله يستجيب للقلب الطاهر الذي يحمل المهمات، هذا القلب الذي بدأت اليوم كل الأنظمة الاجتماعية العلمانية منها على نحو خاص، تدرك ما يعني بناء القلب في حياة الإنسان الفرد وحياة الإنسان المجتمع والأمة، ثمة مقولة من جملة المقولات التي تحضرني في هذا الحديث العاجل وهي للرئيس الأميركي الثاني جون آدمز، قال: استطاعت أميركا أن تحقق استقلالاً، وتحرّر من الاحتلال البريطاني؛ لأنها استقلت في عقلها وهي تفكر، وفي قلبها وما تختزن من قيم.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت

وإن هم ذهب أخلأهم ذهبوا

ما نعانیه اليوم هو من ضعف الأخلاق، وهو سبب الفساد الإداري، وبلا أخلاق لا تنفع الأموال ولا السلطة في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.. يوجد معوّق الجسم أو ما يُسمّون بـ(ذوي الاحتياجات الخاصة)، وقد برعوا باستبسالهم وتضحياتهم وأدائهم وتفانيهم، ويوجد معوّق الإخلاق والإرادة الذين يريدون أن يغتالوا القيم، ويغتالوا المبادئ.

ظواهر الفساد، والنعرات الطائفية، والنعرات السياسية، والنعرات العنصرية كلها تعبّر عن معوّقات أخلاقية؛ لأن القلب غير سليم، ولا نشتبّه أننا نحارب الطوائف، ولا نشتبّه أننا نحارب القوميات، ولا نشتبّه أننا نحارب العشائر، فكلها حقائق قرآنية: ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)).

الله خلقنا شعوباً وقبائل لكن أن يتحوّل الانتماء العشائري إلى تعصّب قبليّ فهذا مرفوض، وأن يتحوّل الانتماء القوميّ إلى عنصريّة شوفيّة فهذا مرفوض، وأن يتحوّل الانتماء الحزبيّ إلى عقدة حزبيّة فهذا مرفوض، الله (تبارك وتعالى)، عدّد لنا السُّبُل في الآية الـ 69 من سورة العنكبوت: ((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)).

لم يقتل (سبيلنا) إنما قال (سُبُل)؛ لأن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، ونحن نعيش في بلد من أبرز ما يميّز به هو تعدّد الانتماءات.. مشكلتنا ليست بوجود السنة والشيعّة في العراق، أو وجود مسلمين وغير مسلمين، أو وجود عرب وتركمان وكرد وقوميات فنحن ورثنا العراق بجغرافية متنوعة، وورثناه بسكانية وديموغرافية متنوعة إنما المشكلة حين يتحوّل السنيّ والشيعيّ إلى طائفيّ.

الانتماء المذهبيّ أمر اجتهاديّ، ورأي محترم غير أن التعصّب الطائفيّ المقيت هو المرفوض سنياً كان أم شيعياً، نعم.. أن تعتزّ بقوميّتك فهذا شيء طبيعيّ أما أن تتحوّل القوميّة إلى حالة استعلاء وطبقية وعنصرية فهذا هو الذي اجتاحت أوروبا، وحولها من حرب إلى حرب؛ بسبب التفاضل القومي.

لا تنظروا الآن إلى الاتحاد الأوروبي - نحن نتمنى لهم الخير - فالحروب التي حصلت في أوروبا، والذين يكذبون علينا، ويسمونها الحرب العالمية الأولى والثانية هي ليست عالمية إنما حرب أوروبية بين القوميات الأوروبية (بين فرنسا والفرانكفونية، وبريطانيا والكومنولث من جهة، وبين النزعة النازية في ألمانيا، والشوفينية في إيطاليا من جهة أخرى)، فلا يصدرون لنا أدباً مزيفاً وثقافة مزيفة الحروب كلها هناك، وكانت مدتها 116 سنة، واحدة منها بين فرنسا وبريطانيا يسمونها حرب الـ 100 عام، في الوقت الذي ينعم العالم الإسلامي خصوصاً المتمسكين بالإسلام وأخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، بالسلام والأمن.. لا بدّ لنا أن نفتح على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، انفتاحاً مسؤولاً خصوصاً أننا الآن نمرّ بتجربة بناء الدولة، ونخلص من كثير من العُقد.

لننظر في الآخرين خيراتهم وحسناتهم وقوة شخصيتهم، ونتعلم من أنبياء الله كلهم فالمسيح (عليه السلام)، وبعض الحواريين كانوا يمشون فرأوا كلباً ميتاً، وقد تفسخ لحمه، وانبعثت منه رائحة كريهة، فقال أحد الحواريين: ما أنتن رائحته! وقال الثاني: ما أبشع منظره! أما السيد المسيح (عليه السلام)، فقد قال: ما أنصع أسنانه!.. لأن قلبه جميل.. من يُرد أن يتحسّس الجمال عليه أن يحسّن قلبه أولاً، ويجمله، فالإنسان لا يرى بعينه فقط، كلنا ننظر إلى الوجود، لكن منا من ينظر إلى الوجود بجمال خاص؛ لأن قلبه جميل.. المعطي واحد لكن المتلقي مختلف.

الأخلاق هي السر، وإذا تحسّنت الأخلاق فقد وضعنا يدينا على بداية الطريق نحو القمة، وحين تسوء أخلاقنا تنفشى ظواهر الفساد في كل مرفق من مرافق الدولة، لنحدث عن القضاء.. لا ينبغي أن نأخذ القضاء، ونحاول أن نشخصن، أو نمذهب القضاء، فلا ينبغي أن يعلو أحد على القضاء، ولا ينبغي أن يُستثنى أحد من القضاء، لنتخلق بأخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كمعطٍ وكمتلقي من الله (تبارك وتعالى)، الذي يخاطب حبيبه: ((ولو تقول علينا بعض الأقاويل)).

هكذا يخاطب الله (تبارك وتعالى)، حبيبه رسول الله بهذه الأخلاق، لا يُستثنى أحد من القضاء وكمعطٍ فسيدة نساء العالمين الزهراء (عليها السلام)، وسيدات نساء العالمين أربع، آسيا بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، ومريم بنت عمران، وفاطمة بنت محمد وهي سيدتهن، يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيها: (والله لو إن فاطمة الزهراء سُرقت لقطعت يدها).

لا يوجد استثناء في القضاء.. نريد للقضاء أن يكون عادلاً مستقلاً، وهو يمشي في هجائية الطريق منذ خطوة الاعتقال والتحقيق إلى إصدار الحكم من دون أن يتحيّز ويكون مضغوطاً عليه.

إحدى درجات الرقي في كل دولة من دول العالم هي استقلال القضاء، وعلى القوى السياسية أن لا تقع في خطأ بل في خطيئة ربط القضية القضائية بالقضايا السياسية، هذا تسييس للقضاء وغير مسموح به أبداً.. من يرتطم بصخرة القضاء يتهشم؛ لأن هذا عدل:

((إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعماً يعظكم به)).

نحن نعيش اليوم في فضاء الدولة والمواقع والكراسي لم تعد تمثل الأشخاص الذين يجلسون عليها، وحين تجلس في بيتك فأنت تمثل عائلتك فلا تقمع زوجتك وأطفالك، وحين تجلس وحدك في الغرفة ذكر نفسك، وانظر إليها بعقلية تربية الذات، فكيف إذا ارتقيت مرتقى صعباً، وجلست على مقعد يمثل الشعب.

لا نستطيع أن نختزل الشعب بشخص، لكننا نستطيع أن نتسع بأشخاصنا إلى عموم شعبنا.. يجب أن نفي لمبادئ شعبنا.. لننتخلص من عقدة ألوهية الذات: ((أفرايت من اتخذ إلهه هواه)).

دعونا ننشر أدب البساطة والتسامح والخلق الحسن مع الآخرين.. صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد جاء على لسان الرواية يوم حضر بحضرته أحد الناس، وبأن عليه الارتباك، قال له: (هون عليك ما أنا إلا ابن امرأة تأكل القديد).

هذه عظمة رسول الله لا أن نتبرم، ونمشي في الأرض مَرَحاً، ونصعر خدنا للناس.. إذا عشنا نعمة العبادة الحقيقية والتواضع لله (تبارك وتعالى)، فإن الله سيتولى أمرنا، ومن أصلح سريرته مع الله أصلح الله نيته، ومن شغله أمر دينه كفاه الله أمر دنياه.

علينا أن نشبع ثقافة البناء والإصلاح في المجتمع وفي البرلمان حين نجتمع، وفي أخطب المعلم في مدرسته، والطبيب في مستشفاه، والمهندس في معمله، والضابط في ثكنته: إذا أردت أن تساهم في بناء الدولة فعليك أن تتحول من معطٍ فني مختص إلى معطٍ تربوي.. كن معطياً، وتجاوز الأنانية، بل حتى النحنوية.

الإسلام بدأ من مكة بلسان عربي مبين، وتعداد المسلمين اليوم هو مليار ونصف المليار، العرب منهم ثلاثمائة مليون فقط؛ إذن العرب اليوم أقلية بين بقية المسلمين، فكيف دخل الإسلام إلى قلوب الشعوب غير العربية؟.. دخل إليها بأخلاق الله (تبارك وتعالى)، التي جسدها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).. العربية امتدت إلى هناك، ولم تتحول إلى عنصرية، فمفردات القرآن الكريم يقرأها العربي وغير العربي، ليس كما فعل عفلق حين حارب محمداً، وحارب كل الأنبياء بهذا الفكر المزيّف الذي أشاع الحروب، ودمّر البلد من 1968 إلى 2003 بشعارات (وحدة

وحرية واشتراكية، وأمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة)، ولا ندري متى تنطبق، وقد مضى عليها 35 سنة: ((أستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير)).

لنعد إلى القلب مرة أخرى: لابد أن يحاسب الإنسان نفسه عما قدّم حين جاء إلى المسؤولية، والفرق الذي أحدثه منذ بدأ، وشرع إلى أن انتهى.. لا نشته فمبادئنا تأمرنا بالمحاسبة، وليس كل من يستطيع أن يطبقها، فقد حاولت الماركسية أن تأتي بقانون النقد والنقد الذاتي لكنه سرعان ما انهار، وانهارت المنظومة الماركسية كلها؛ لأنه يقول بالنقد الذاتي وهو متفرّع من الإيمان بالخالق، وقد أنكرته (الماركسية)، فمن يضمن أن في قلبك حقيقة نقد ذاتي؟.. لا أحد، لكن قانون المحاسبة: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا).

متفرّع عن الإنسان الذي سلّم قلبه لتلك القوى اللامحدودة، القوى التي تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؛ لذا ينسجم الإنسان مع نفسه، حان الوقت لأن نفكر بعقل الدولة، ونبني مسيرتنا على قاعدة أخلاقية عريضة.. حان الوقت لأن نهزم الفساد، مأساة وكارثة أن تكون ميزانية العراق لعام 2012 (130) ترليون دينار، وعدد نفوسنا اثنين وثلاثين مليوناً ونصف المليون، وتبقى علامات الفقر والخدمات بهذا الشكل.. علينا أن نشكر للآخرين جهودهم، ونذكر جيداً أن بناء الدولة بطبيعته يأخذ بعض الوقت، وكلنا نتحمل المسؤولية سواء الذين هم في المواقع أم في الواقع السياسي.

أنا ليس لديّ موقع في الحكومة، لكن لا أعفي نفسي من المسؤولية؛ كلنا نتحمل المسؤولية، لا أحد يرمي بالخطأ على الآخرين، ويقول: لا يخصني هذا.. الجميع مسؤولون، القضاء الآن غير القضاء في الأمس الغابر، ففي الأمس كانت المآسي تُرتكب، وكانت تُهتَكَ الحرمات، وتُهدَر الدماء، ولا يرف لأحد جفن، وكأن شيئاً لم يكن.. هذا الإمام علي (عليه السلام)، كان خليفة المسلمين وعاصمته الكوفة، اعتدي في عهده على امرأة مسيحية من تكريت، فقد أخذ معضدها من يدها، أتعلمون ما الذي قال:

(والله لو أن امرئاً مات على ذلك كمداً ما كان ملوماً).

امرأة واحدة.. فكيف بكم وامرأة تُغتصب، وتحوّل بطريقة درامية رهيبه بأقل من أربع وعشرين ساعة من امرأة مصونة إلى امرأة يزايد على كرامتها وعفتها.. من يستطيع أن يحوّل الناس من أبرياء إلى مجرمين في غضون هكذا فترة - والله مخرجو هوليوود سيحتاجون وقتاً لعملها، وسيستحقون جائزة الأوسكار بهذا الشكل.. أرونا واحداً يتحدث عن حق الآخر، ونقد النفس.. لا نطلّ نتكلم.. نرمي باللوم على الآخرين، وننزّه أنفسنا.. لا ينصّب الواحد منا نفسه واعظاً لينتقد الحالة العامة؛ حتى نقول: نحن نسمع صوت النقد والنقد البناء.. النقد البناء هو الذي يرتقي بالعراق إلى



الأعلى فالموقع مُلك العراق، وإن كان الشخص الذي يرتقي الموقع يأتي من خلفية هذه القائمة أو تلك أو من هذا المذهب أو ذاك.

أنا لا أستطيع أن أتصور إنساناً بلا انتماء بل بلا انتماءات، فلا بد أن يكون باللغة منتمياً، وبالدين منتمياً، وبالقومىة منتمياً، وبالاتجاه السياسى منتمياً، لكنى لا أستطيع أن أتصور أن يختزل العراق بانتمائه.

العراق لكل العراقيين، وتقادم الزمن لا يُعفى المقصّر والفاقد من الحساب إلى الآن يرجعون إلى ملفات جاك شيراك الذى أدى رئاسة الجمهورية، وانتهى، والذى كان سكرتيراً شخصياً لـ (ديغول) رجل الأمة الفرنسىة، ويحكمونه، ويحكمون عليه بالسجن سنتين، هذا يعنى أن ضوء العدالة إذا لم يصل اليوم فسيصل غداً لامحالة.

يجب أن نفكر بشعبنا بأجيالنا القادمة بأبنائنا وبناتنا.. دعونا نتحرك يداً واحدة مصلحين؛ لنهزم الفساد، فالفساد غير محدّد بمذهب ولا بقومية ولا بأبناء دين ولا بحزب.. المُفسدون كُثُر: ((ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس)).

دعونا بالمعادلة نشكّل جبهة إصلاحية؛ حتى نهزم الفساد، ستجدون أن جنوداً كَثُراً موجودون من كل القوائم، وهذا منتهى الصواب، والمتعصّبون منتهى الخطأ.. لا نرجع مرة أخرى إلى التعصّب، لننظر إلى هذا الإثراء الرائع اليوم، ويأتي أحد الموتورين ليتهم جميع السياسيين العراقيين من دون استثناء بأنهم فاسدون، لماذا كلهم فاسدون؟.

أنا أعرف بعض السيدات من البرلمان يوزعن رواتبهن في سبيل الله على الفقراء والمحتاجين، وكذلك بعض السادة أعرفهم كما أعرف نفسي واسمي، لماذا نلعن الظلام، ولا نمدح النور؟... في تاريخ أميركا يوجد 43 رئاسة، و44 رئاسة حتى أتت بملوّن، إلى حد عام 1968 وقُتِلَ مارتن لوتر كنك داعية حقوق الإنسان؛ لأنه ملوّن، ونحن قضينا على العنصرية قبل بمئات السنين.

فلماذا نقرأ تاريخنا بخجل؟!..

متى أعطوا المرأة حق التصويت؟..

في أميركا أعطوها حق التصويت نظرياً عام 1919، وعملياً عام 1924، وفي بريطانيا عام 1945، وفي سويسرا عام 1977، وفي فرنسا عام 1945، وفي تاريخنا صوّتت قبل مئات السنين:

((إذ يبائعونك تحت الشجرة)).

قبل 1400 سنة.. لماذا نقرأ تاريخنا بخجل؟!.. لماذا نستورد نظريات دخيلة على قيمنا وأخلاقنا وتراثنا؟!.. لماذا نتعقّد من تاريخنا؟!.. لماذا نرفض كل شيء من تاريخنا؟!..

علينا أن نقبل الحسن والصحيح، ونرفض السيء والباطل من تاريخنا، كما وجهنا القرآن الكريم:  
(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يُفترى)).

اعبروا إلى التاريخ، وانظروا إلى عمل آبائنا.. التغيير الدستوريّ ليس سُبّة.. إنما نبذ، ونعدّل الدستور وهو ليس كتاباً مُنزَلاً، إن كان فيه ثمة خطأ فالخطأ يستدعي التبديل، ولا يستدعي الخرق، أن تدور الحالة بين الدستور واللدستور، فنحن مع الدستور، ولنعدّل ما لم يتفق مع الواقع، فكل بلدان العالم عدّلت دساتيرها، ولا يوجد بلد مستثنى من هذا ففي أميركا عدّل الدستور 26 مرة ، وفي جمهورية فرنسا عدّل الدستور خمس مرات، وفي البرازيل ثلاث مرات.

إلى متى تبقى علاقاتنا متحجرة، فنجلس في البرلمان على أساس التصنيف الفئوي والجهوي والطائفي.. الشعب كله اختارنا كلنا، ففي الشارع لا يوجد فرق بين من يمشي، ومن يجلس في المطعم، أو من يدرس المدرسة، والمرضى، والعمال، والجيش في الثكنات العسكرية؟.. ألم يختلطوا سوية بأفكارهم ومشاعرهم؟.

ألم نسمع عن الذين يضحون بأنفسهم من أجل العراق.. فهذا نزهان الجبوري إلى الأمس من عشيرة (الجبور) من الإخوة السنة يضحى بنفسه بإرادته من أجل العراق، ولم يفكر بأنه سني أو إن هؤلاء الناس شيعة، ولم يفكر بأنه من مدينة كركوك.. وقبله كان عثمان العبيدي.. هؤلاء هم القادة.. من هو القائد؟.. القائد هو الذي يؤمن بصدق، ويضحى بصدق من أجل شعبه.. علينا أن نتعلم من هؤلاء، ومن العائلة التي أنجبته.. المضحون هم القادة الحقيقيون.

أيها الإخوة لا ينبغي أن تمرّ علينا مثل هذه المناسبات من دون أن نُحدِث فرقاً أساسياً ونوعياً في طريقة تفكيرنا، وأروع شيء في الإنسان الوثائق من نفسه أن يخاطب نفسه قبل أن يخاطب الآخرين، ولنأخذ من أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونراجع على ضوء فهمنا لشخصية رسول الله، وكيف كان يتعامل مع أهله، فيقول:  
(أحسنكم أحسنكم لأهله وأنا أحسنكم).

لا يكفي ترديد الشهادتين في الانتماء إلى رسول الله، نعم.. من يردّد الشهادتين فهو مسلم، أما أن تكون إسلامياً أو مؤمناً فعليك أن تحوّل هذا الشعار (الشهادتين)، من عالم العقل والقلب إلى عالم التطبيق.

أختم حديثي بالدعوة لكم جميعاً بالموقفية، وإلى المزيد من الإصرار على بناء العراق الجديد، والأخذ به إلى أفاق الانفتاح خصوصاً أننا على أعتاب مرحلة جديدة يُفترض - بإذن الله تعالى- أن نستضيف القمة العربية (القادمة)، ومن خلالها سيلتقي الحاضر

بالتاريخ المُوغل، كما قال سرجون الأكدي قبل 2230 سنة قبل الميلاد: من يحكم قبة العالم يتحكم برياحها الأربعة.

عظمة بغداد ليست في التاريخ فقط، وليست عظمة جغرافية فقط حين اختارها أبو جعفر المنصور على ضفاف دجلة، إنما عظمة بغداد في أنها قدمت نموذجاً جديداً في الحكم حيث تداول السلطة بشكل سلمي، وحيث يتعايش الجميع، وحيث تتجسد خارطة العراقية المجتمعية كلها في البرلمان، ويتجسد أغلبها في الحكومة، وهكذا تزدان بغداد؛ لتستقبل هذه الحكومات، وتثري تجاربها بتجاربنا. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.